تمهيد

كثيراً ما يقال اليوم إن هـذا العصر عصر العلم والعلمانية والواقعية . ومما يعنيه هذا القول أنه لم يعد هناك مجال فى هذا العصر للروحانيات والغيبيات والعواطف . ولما كانت الأديان مصدر ذلك كله صارت نتيجة لذلك من مخلفات الماضى والتاريخ ومن معروضات المتاحف ودور الآثار .

والمتأمل فى هذا القول يتبين له أنه يعنى فى الحقيقة والواقع انجلاء الكثير من ظلمات الجهل والجهالة والضلال وتلاشى ما يظهر فى أجواء الجهل والظلام من غشاوات العمى والضلال وضباب الخزعبلات والخرافات والأساطير وصفاء سماء العلم وسطوع شمس الحقيقة وإشراق نور الحق كما تشع أنوار الكواكب والنجوم فى آفاق السماء الصافية .

ولا ريب فى أن العلم والدين يتعاونان على إبراز الحقائق والوقائع وأوجه الحق والصواب فى الأرض والسماء . فالدين يدعو الإنسان إلى التفكير فى السموات والأرض للاهتداء إلى معرفة حقيقة الحقائق الأزلية ومولد نور السموات والأرض

ومنبع الحياة وخالق هذا الكون ألا وهو الله تعالى . والعلم الصحيح يقدم المزيد من الأدلة العقلية الحسية والبراهين المنطقية الملموسة على صحة ذلك . فلا عمى أشد ولا غشاوة أكثف من الجهل الذى هو فى واقع الحال مقبرة الحقيقة وعدو الحق وعمه العقل والبصيرة . فكلما ازداد المرء علما ونورا ازداد معرفة بالله سبحانه وتعالى وتعمق إيمانه به .

فالعالم الحق يعرف الله ويتقيه والجاهل لا يرى الله ولا يخشاه ومن جهل شيئاً عاداه . لذلك قال الله سبحانه وتعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وفى ضوء الحق والحقيقة تستقيم الأمور وتطيب الحياة ويسير الإنسان فى الطريق السليم القويم ويعيش حياة حرة كريمة طيبة .

وهكذا يتكامل العلم والدين فى خدمة الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة فلا العلم يتقدم ويزدهر على حساب الدين ولا الدين يعلو ويعظم على حساب العلم فبنور العلم والإيمان تتبدد الخرافات والبدع والخزعبلات ، وكل ما خالف الحقيقة والحق والمنطق والواقع يعد بدعة وخزعبلة ووهما .

وبالعلم والإيمان يعيش الإنسان منذ آدم وحواء وسيبقى

كذلك إلى يوم القيامة . والعلم يتمثل فى المادة شطر الحياة الأول ويتمثل الدين فى الروح شطر الحياة الآخر. ويتجسد العلم فى الطرق والوسائل والأدوات والأساليب التى اتخذها الإنسان منذ فجر حياته للحصول على مايحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وراحة وترفيه ووسائل سفر وانتقال وأسلحة حرب وغير ذلك .

ويتجسد الدين فى العبادات التى يؤديها لله تعالى والأعمال الصالحة التى يقوم بها والأخلاق والفضائل التى يتصف بها .

وبالتوازن والتعادل بين الروح والمادة تطيب الحياة البشرية ويعتدل جوها ويحلو ثمرها ويستقيم أمرها شأنها فى ذلك شأن الشجرة التى تنمو وتثمر بالتربة والماء ولا تنمو بواحد منهما .

ولا أدل على أثر الدين والإيمان والقيم الأخلاقية فى حياة الفرد والمجتمع من أن ما يقع من جرائم وشرور ومظالم ومفاسد إنما يقع فى غياب الإيمان والفضيلة والخلق مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».

وإذا ذهب الإيمان وتقوى الله ذهب الأمان والسلام والطهر والصفاء واضمحل الحق والعدل فلا يؤتمن جانب من لا يؤمن بالله

ولا يخشاه ومن لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل كما يدل على ذلك واقع الحياة البشرية قديما وحديثا وفى ذلك يقول شاعرنا الباكستانى محمد إقبال :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيـــا لمن لم يحى دينا

وإذا كان العلم ينفع الإنسان فى الحياة الدنيا فإن الدين ينفعه فى الدنيا والآخرة .

والإيمان يربط الإنسان بالله تعالى وإذا ما اتصل المرء بالله وارتبط به اتقاه وأطاعه قولا وعملا سراً وإعلاناً فلا يقول ولا يفعل إلا خيراً ولا يأخذ ولا يعطى إلا طيباً ويستعمل ما تحت يده من قوى العلم الخارقة وطاقاته العجيبة فى الخير والسلم والتعمير لا فى الشر والحرب والتدمير .

وهكذا يكون العلم والدين متكاملين ومتلازمين منذ بدء الحياة البشرية فى صنع الحياة الإنسانية الطيبة المثمرة والعيشة الجميلة الراضية فلا الدين يغنى عن العلم ولا العلم يقوم مقام الدين .

المؤلف